مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الحياة
التاريخ : ١٩٧٢/٧/٢٧

كيف حاولت موسكو وواشنطن إحراج السادات لإخراجه!

طلب السوفيات مالاً فأمّنه القذافي للسادات لكن السلاح لم يصل

تحرر مصر من السيطرة السوفياتية وما يترتب عنه من احتمالات السلم والحرب

القاهرة ـ من الياس بدوي

عقب قرارات الرئيس السادات كان الناس هنا لا يكتمون فرحتهم لرحيل المستشارين والخبراء الروس كان هناك شعور بالانفراج كان الراحلين هم المحتلون الاسرائيليون كان الناس يتطلعون الى اي تحرك يخرج مصر من الدائرة الفاسدة التي اخذت تدور فيها العلاقات المصرية السوفياتية ..

غير ان مشاعر الفرح الاولية لم يسمح لها بان تتخذ اي تعبير طنان ، لا على صفحات الصحف ولا على موجات الاذاعة والتلفزيون اذ كان الامر السري النافذ هو المحافظة على مظاهر الصداقة المصرية الروسية الى اقصى حد ممكن باعتبار ان القرارات المصرية تنصب فقط على الاستغناء عن المستشارين والخبراء الروس والسيطرة على المنشآت والمعدات الروسية التي اقيمت على ارض مصر منذ حرب حزيران سنة ١٩٦٧ وان المدربين الروس باقون ، وان توريد قطع التبديل اللازمة للاسلحة والمعدات السوفياتية الصنع سيستمر . وانما ظهرت في شوارع القاهرة يومي الخميس والجمعة الماضيين وفي ميدان الاوبرا بالذات (الذي زالت منه دار الاوبرا وتحول مكانها الى موقف سيارات) سيارات تحمل مكبرات صوتية وهي تذيع باعلى صوت عبارات موجزة تقول : « قرارات السادات نابعة من الشعب » « قرارات السادات تعبر عن تصميم الشعب على النضال » « المعركة معركتنا ولا نريد ان يخوضها احد غيرنا » و « الحرب حربنا وسيخوضها ابناؤنا » الخ ..

التساؤل الحذر

اما بعد خطاب السادات يوم الاثنين ، فقد ساد جو من الوجوم والتساؤل الحذر ، اذ كشف الرئيس المصري عن ان الخلاف بينه وبين القادة السوفيات اعمق

واخطر مما اشارت اليه قراراته الاولى ، كما كشف في الوقت نفسه عن ان العلاقات بين القاهـــرة وواشنطن لم تتحسن ، وبعبـــارة اخرى ، اوضح خطاب السـادات الاخير انمصر لا تستطيع انتعتمد على مساعدة روسيا ، ولا اميركا طبعا ، في ايجاد حل سياسي او عسكري للقضية ، وان على مصر ان تعالج المشكلة بمفردها معتمدة على الوطنية المصرية وعلـــى « القومية العربية » ·

القلق والحرج

وكان هناك شعور بالقلق فـــي اوساط المثقفين ، ليس اسفا على ما اصاب العلاقات المصريـــة ، السوفياتية من فشل ، بل خوفـا من ان يجد اعداء مصر ، لا سيما الاسرائيليون واعوانهم ، في فشل التعاون المصري السوفياتي، حجة يستندون اليها في مواصلة حملـة التشهير ضد المصريين والعـــرب بتصويرهم على انهم لا صديـق لهم وان من الصعب ارضاؤهـــم كاصدقاء ··

والوضع ، كما عرضه الرئيس السادات على الشعب بكثير من الصراحة يعد اخطر وضع تواجهه مصر ، منذ عدوان سنة ١٩٥٦ بل هو اخطر بكثير من الوضع الذي مهد لذلك العدوان اذ يتبين من خلال الوقائع التي كشفها السادات ان المسلك السوفياتي والمسلـــك الاميركي كليهما ، كان يرمي الى احراجه فاخراجه ·

ولذلك ، فانه بعد الحيرة الاولى التي احدثها خطاب السادات كان رد الفعل الطبيعي بين المصريين حتى المعارضين لحكم السادات ، هو تأييد رئيسهم لان لدى المصريين كراهية فطرية ضد تعيين اوتغييـر الحكام عليهم من الخارج (علـى ما كان عليه الحال ايام المنـدوب السامي البريطاني) ·

مضايقات سوفياتية للسادات

وقد ترددت فورا عدة روايـات ومعلومات عن المضايقات الشديدة التي لقيها الرئيس السادات من جانب المسؤولين السوفيات ، ولاشك ان هذه المعلومات والروايات من شانها ان تستثير حماسة المصريين لتأييد حكومتهم الوطنية ، ضد اية محاولة خارجية للتدخل ، فـــي شؤون السياسة المصرية الداخلية او للتهوين من شأن المسؤوليـــن المصريين · وذلك بغض النظر عن امتناع السوفيات عن تزويد حكومة السادات بالاسلحة التي طلبتها ، رغم علم السوفيات بشدة الضغط الواقع على السادات من كادرات القوات المسلحة المصرية علـــى اختلاف رتبها :

● في مجال التسويف السوفياتي امام الالحاح المصري في طلـــب

السلاح الحديث ، قيل ان الروس طلبوا في اوائل السنة الحالية مبلغا اضافيا من المال ، من اقساط بعض الصفقات السابقة ، وبعد التشاور بين السادات والقذافي امكن تامين مبلغ ٢٠٠ مليون جنيه استرليني نقدا وعدا ، ارسل الى موسكو ولكن هذا المبلغ لم يحل عقدة حبس السلاح المنشود ٠

● في مجال التسويف نفسه قدم السوفيات أسئلة مكتوبة الى الرئيس السادات مطالبين بالرد عليها كتابة ، حتى يمكنهم تنفيذ طلبه الخاص بالاسلحة الجديدة ٠ وكانت تلك الاسئلة تنطوي على شروط وتعهدات واضحة ، ورفض السادات الرد على تلك الاسئلة ٠

● من الروايات الشائعة في الدوائر الصحافية والاعلامية ، ان الرئيس السادات اذ كان في مرسي مطروح قبل بضعة اشهر ، رأى ان يصحب ضيفه الرئيس القذافي في زيارة مفاجئة للمنشات البحرية السوفياتية هناك ٠ ولكنه لم يتمكن من ذلك ، اذ لم يوافق المسؤولون السوفيات على الزيارة !!

توثب وتململ من الجانب العسكري

تلك المضايقات كانت تجري في وقت اشتد فيه التململ في صفوف القوات المصرية المرابطة على الجبهة ، لا سيما بين الضباط الشبان ، وعشرات الالوف من الشبان الجامعيين المجندين والعاملين في الصفوف الامامية ٠

فكان هذا اهم عوامل الضغط الداخلي على حكومة السادات في حوارها مع الروس ، وفي تحركاتها السياسية الخارجية لايجاد مخرج من مأزق اللاسلم واللاحرب القائم وهذه بعض نقاط الضغط العسكري الداخلي :

حوادث مع المستشارين

● ازدياد الجفاء بين الضباط المصريين وبين المستشارين والخبراء الروس ، على مختلف المستويات ٠ وهذا الجفاء كان قائما منذ البداية بحكم الحساسية الفطرية لدى المصريين ضد كلمة « مستشار » وكلمة « خبير » وكلمة « مفتش » بوجه عام ٠ فقد كانت لهذه الكلمات معان كريهة ايام الاحتلال الانكليزي ، اذ كان مستشار الوزارة البريطاني الحاكم بامره في الوزارة ، وكان المفتش البريطاني في الجيش ، هو القائد الحقيقي ، وقد اشتد هذا الجفاء خلال السنتين الاخيرتين بتأثير ترسب اثار هزيمة حزيران ، وبتأثير ما ينسب الى المستشارين والخبراء الروس من «عجرفة في معاملة الضباط المصريين ٠

● اشتداد جو الشبهات بين الضباط المصريين والمستشارين الروس ، لا سيما في السلاح الجوي المصري ، حيث كان من المتفق عليه ان لا يقوم الطيارون المصريون باية « طلعة » في منطقة القناة

بدون موافقة المستشار الروسي ٠ ويقول المتشككون في الجانب المصري ان الطيارين المصريين كانوا يواجهون في كل طلعة ، يأذن بها المستشار طائرات اسرائيلية كانها في انتظارهم فوق سيناء ٠ وانه حدث ان قام اثنان من الطيارين المصريين ذات مرة بطلعة بموافقة قائدهم المصري وبدون اخطار المستشار الروسي ، وانهما قاما بجولة استطلاعية واسعة فوق سيناء دون ان يشاهدا اية طيارة معادية الا قبيل عودتهما ٠

● من التصرفات السوفياتية التي عمقت ازمة الثقة ما نسب الى رئيس هيئة المستشارين الروس من تصريح غاضب ، زعم فيه : ان « مصر اشبه بعشيقة ناكرة للجميل » وقيل ان وزير الدفاع السوفياتي تدخل شخصيا لتسوية تلك الازمة بين كبير المستشارين الروس ووزير الدفاع المصري ٠

● غير ان بعض المراقبين يرون ان مثل هذه الامور لا يمكن المبالغة فيها اذ ان من الطبيعي ان تقع في مثل هذه الحالات ، لا سيما بين افراد شعبين يكاد يجهل احدهما الاخر جهلا تاما ٠ ويقول هؤلاء المراقبون المطلعون ان اهم الخلافات والحزازات ناشئة عن صعوبة اللغة ، فقد كان التفاهم بين المستشارين الروس والضباط المصريين صعبا جدا بسبب ضعف المترجمين ، وعجزهم عن الترجمة الصحيحة معنى وروحا ٠

مدى اطلاع مصر على نتائج قمة موسكو

وهناك نقطة كان لها اثرها البالغ في تعميق هوة الخلاف بين القاهرة وموسكو ، وهي على ما صرح به مصدر دبلوماسي ، شعور القاهرة بان موسكو لم تطلعها بصدق على ما حدث في القمة الاميركية السوفياتية ، في حين ان الجانب الاميركي اوفد بعثات ضخمة برئاسة وزير الخارجية لاطلاع البلدان الصديقة على نتائج تلك القمة ٠

التفاهم الروسي الاميركي

غير ان « عدم الاطلاع » هذا قد يعني « عدم رضى » مصر عن المعلومات التي قدمها اليها الاتحاد السوفياتي عن تلك القمة ، ويقول مصدر دبلوماسي اخر ان الروس ابلغوا مصر انهم اتفقوا مع الرئيس الاميركي نيكسون على المحافظة على الوضع القائم في الشرق الاوسط كما هو ، الى ان تتم انتخابات الرئاسة ، تامينا لنجاح نيكسون في هذه الانتخابات وانه اذا حدث اي تطور ضد مصلحة اسرائيل قبل تلك الانتخابات فسوف يضطر نيكسون الى الالقاء بكل ثقله في جانب اسرائيل ليضمن نجاحه ٠

وقال الروس للمصريين ، انه في

مقابل ذلك ، وعد الرئيس الاميركي بانه بعد نجاحه بتجديد مدةرئاسته فسوف يشترك مع الروس في الضغط على اسرائيل ، لقبول التسوية القائمة على اساس قرار مجلس الامن • وفي هذه الاثناء يجب ان تتخذ الترتيبات لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر واميركا • وعلى ذلك . قال الروس انه لا يمكنهم ان يقدموا اسلحة هجومية الى الرئيس السادات •

ولم يكن في وسع الرئيس السادات ان يقبل ذلك التوضيح الروسي او التفاهم الروسي • الاميركي ، بسبب الضغط المتزايد عليه من جانب ضباط القوات المسلحة ، ولا سيما المجندين من الشبان الجامعيين العاملين على الجبهة (ويقدر عددهم بما يزيد عن المائة الف) فهم يريدون ان يعرفوا مصيرهم ، وقد مضى على بعضهم في الخدمة العاملة خمس سنوات (منذ سنة ١٩٦٧) ولا يعرفون المصير •

كيف ابلغ القرار

تحت تأثير تلك العوامل جميعا اتخذ الرئيس السادات قراره بشان المستشارين والخبراء الروس ، بعد ان تشاور مع الدكتور محمود فوزي والسيد حافظ بدوي رئيس مجلس الشعب ، والسيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس ثم استدعي السفير السوفياتي وابلغه هذا القرار ليبلغه بدوره الى حكومته • وكان ذلك يوم ٧ تموز ، وجاء الرد من موسكو بان القرار اخطر من ان يبلغ على مستوى السفراء ، فكان ان اوفد الدكتور عزيز صدقي رئيس الوزراء على راس وفد للقيام بهذه المهمة

الى اين ؟

السؤال الان، ماذا تكون الخطوة التالية ؟ اسلم أم حرب ؟

وهذه بعض المعلومات التي وقفت عليها ، والتي يمكن ان تساعد على تكوين الرد على هذا السؤال

● قال لي الدكتور محمدحسن الزيات ان قرار الرئيس السادات جاء اشبه « بالصدمة الكهربائية » لتنبيه العالم الخارجي الى حقيقة ما تريده مصر ، وانها لن تسكت عن المطالبة بما تعتبره حقا واضحا ولن تدع هذا الحق يموت • وان هذا التحرك الجديد نحو الحل العادل لا يعني حتما الحرب بل يعني الرغبة في الحسم •

● ان هذا القرار جاء يحطم اسطورة السيطرة الروسية على مصر ، وكان الظن ان لا فكاكمن هذه السيطرة وقد اثبت القرار ان مصر هي صاحبة السيطرةعلى سياستها ومقدراتها في المقام الاول وهذه الحقيقة من شانها ان تزيل

كثيرا من الحواجز التي كانت تحول دون التفاهم والتعاون بين مصر وسائر الدول لا سيما دول اوربا الغربية التي تربطها بمصر صلات تاريخية قديمة • وهذا قد يساعد على التعجيل بايجاد الحل العادل للمشكلة •

● ان الجسور التي بنتهامصر حديثا او جددت بناءها معمختلف الدول العربية من الخليج الى المحيط وكذلك مع مختلف الدول الاجنبية ، سوف تساعدها على احداث التغيير المنشود في السياسة الاميركية في الشرق الاوسط •

● ما زال الراي الغالب في الاوساط السياسية المصرية المطلعة ان الخطوة المصرية الاخيرة سوف تساعد على الحل السلميبمشاركة اميركا وروسيا اكثر منها الحل الحربي •

وبعد فان المهمة الاساسية للحكم في مصر الان ، تعزيز الجبهة الداخلية ، حتى يمكنه النهوض باعباء المرحلة القادمة الشاقة لا سيما وان هناك جهودا معادية مركزة ترمي الى النيل من هذه الجبهة •